التقديم :

https://nidaulhind.blogspot.com

مدونة علمية دعوية فكرية

(راجيا دعائكم)



تاثير الادب الهندى فى الآداب العربية

الاستاذ عبدالمجيد الندوى

من الطبيعى ان يتأثر قوم بقوم فى اللغة والثقافة وغيرهما اذا كان بينهما نوع من علاقة واتصال، ولعلك لاترى قوما من الاقوام ما لا يوجد فيه اثر من آثار ما يجاوره من الاقوام . وكلما كان هذا الاتصال محكما وثيقا كان التاثير بالغا عميقا . وليست اللغة خارجة من هذا القانون وقد يبلغ التاثير فيها غاية البلوغ حتى يتغير احيانا صورتها وهيئتها كما ترى التاثيرات اليونانية فى اللغة الانكليزية والتاثيرات العربية فى الفارسية والتركية .

ان العلاقات والروابط بين العرب والهند قديمة جدا . فان التجار العرب، منذ قرون قبل الاسلام، كانوا ينقلون محاصل ومنتجات افريقا والشرق الاوسط الى الهند والسيلان وبرما والصين واليابان وكذلك ينقلون منتجات هذه الاماكن الى افريقا والشرق الاوسط . وكانت لهم مراكز تجارية فى سواحل الهند ومستعمرات مستقلة فى جنوبها ومن ذلك اليوم اخذت اللغة العربية تتأثر باللغات الهندية وبعد انتصارات السند والهند ازدادت هذه التاثيرات ثباتا ومتانة، وأستعرضها فى هذه المقالة الوجيزة .

لهذه التاثيرات ثلاثة انواع (١) الكلمات السنسكريتية والهندية (٢) القصص (٣) الحكم والامثال .

(١) اول ماجاء فى اللغة العربية من الكلمات السنسكريتية والهندية كان بطريق التجارة كما قال صاحب كتاب البلدان .

« خص الله عز بلاد السند والهند . . . والاعواد العنبر والقرنفل والسنبل والخولنجان والدارصينى والنارجيل والهليلج والتوتيا والقنى

والخيزران والبقم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة (كتاب البلدان ص ٢٥١) .

جميع كلمات هذا المقتبس هندية وكذلك اختلطت مئات من الكلمات فى اللغة العربية اختلاطا لايعرف الا بالمعاجم واليكم بعضها .

(هند) قد استعملت العرب هذه الكلمة فى صيغ مختلفة ومعانى شتى وكانت تروقهم وتعجبهم اعجابا شديدا حتى سموا نساءهم وعشيقاتهم بهذا الاسم ولها فى الشعر العربى منزلة شيرين وليلى فى الفارسى . انشد سيبويه :

اخالد قد علقتك بعد هند　　　فشيبنى الخوالد والهنود

وقال آخر :

الا لا ابالى اليوم ما فعلت هند　　　اذا بقيت عندى الحمامة والورد

جمع «الهند» هندات وهنود واهند واهناد واهاند . قال روبة :

«حتى استباح السند والاهاند»

ويقال «هندى» بياء النسبة . قال عدى بن رقاع :

«رب نار بت ارمقها ـ تقضم الهندى والغارا»

وقد يقال «هندكى» بالحاق الكاف قبل ياء النسبة قال كثير :

طماطم ويوفون الوفور هنادكا

كلمة «هنادك» استعملت ههنا لرجال الهند كما شرحه ابن حبيب .

(بروص) اصله بهروج مدينة معروفة فى كجرات قال المسعودى «وهنالك مدينة الديبل به يتصل ساحل الهند الى بلد بروص واليها يضاف القنا البروصى»

(المسعودى ج ١ ص ١٣٩) وقد استعمل البلاذرى ايضا هذه الكلمة فى كتابه فتوح البلدان حيث قال «وجهه الحكم الى بروص ووجه اخاه الى المغيرة بن ابى العاص الى خور الديبل فلق العدو وظفر» (فتوح البلدان - ١٨٨)

قال احد :

الفت قوسا ذى الثقاء   جاء بها جالب بروصاء

وقال آخر :

من شفق خضر بروصات   صفر اللحاء والخلوقيات

(نينيلج) اصله فى الهندية «نيل» لون هندى، فى لسان العرب «النيلج يعالج به الوشم ليخضر» قال ابن العربى :

سوداء لم تخطط له نينيلجا

(قرمز) اصله «كرمج» ضرب من اللون . فى لسان العرب «القرمز صبغ احمر».

(موز) اصله موشه فى لسان العرب «الموز معروف» كتب المقدسى فى «احسن التقاسيم» عن مدينة السند «هو اقليم حار به نخيل اونارجيل وموز».

(فوطة) اصله فى الهندية «پت» او «پوت» قال اللغوى المعروف ابو منصور : «لم اسمع فى شيئ» من كلام العرب فى الفوطة فلا ادرى عربى ام لا . كتب السائح التاجر الشهير سليمان فى رحلته «واهل الهند يلبسون فوطتين ويتحلون باسورة الذهب والجواهر الرجال والنساء» (سلسلة التواريخ ٥٩).

(نارجيل) اصله ناريل . فى لسان العرب النارجيل الجوز الهندى كانوا يتلفظون هذه الكلمة بالهمز ايضا فى لسان العرب : «وفى لغة النأجيل

والنأرجيل بالهمز». كتب سليمان التاجر: «وهذه الجزائر التى تملكها المرءة عامرة بنخل النارجيل.» (سلسلة التواريخ ٦)

(قسط) اصله فى الهندية «كث» او «كثهر» فى اسان العرب «القسط عود يجاء به من الهند يجعل فى البخور والدواء» قال ابن خردازبه فى رحلته «ومن السند القسط والقنا والخيرزان» ويقال ايضا قشط وكسط. فى لسان العرب: «ويقال لهذا البخور وكسط وقشط».

(عود) اصله «اود» فى لسان العرب «والعود الخشبة المطراة يدخن بها هوالقسط البحرى وقيل هو الذى يتبخر به» قال النبى صلى الله عليه وسلم «عليكم بالعود الهندى» كتب الجاحظ «ومن عندهم جاء الملوك بالعود الهندى لا يعدله عود» (فخر السودان على البيضان ٨٠) قال احد من المولدين: وقهوة من سلاف الرن صافية كالمسك والعنبر الهندى والعود. وجمع العود «اعواد» و «عيدان». كان يحمل هذا العطر عموما من كارومندل ولذلك يقال له «مندى» قال المبرد «المندل العود الرطب هو المندلى» وقال عمرو بن طنابه:

اذا ما مشت نادى بما فى ثيابها ذكى الشداء والمندلى المطير

(فوفل) اصله كوبل فى لسان العرب «الفوفل ثمر نخلة وهو صلب» قال صاحب «عجائب الهند» «وحدثنى ان بقنوج من بلدان من ياخذ الفوفل بين شفريها فيكسرها قطعا من شدة، تضغطها» (عجائب الهند بزرك بن شهريار ص ١٩٩) وقال ايضا فى مكان آخر فى هذا الكتاب «فجعله فى سفينة وجعل عليه الكافور وحوله الهيل والتانبول والنورة والفوفل وضرب الطبل».

(فلفل) اصله فى السنسكريتية «پپلى» فلما جاء فى الفارسية صار «پلپل» فعرب بفلفل. يستعمل فى اللغة العربية بالكسر والضم.

فى لسان العرب « الفلفل (كهدهد وزبرج) حب هندي معروف وهو معرب پلپل بالكسر لا ينبت بارض العرب » وقال صاحب المسالك والممالك «وذكر البحريون ان على كل عنقود من عناقيد الفلفل، ورقة تكفه من المطر فاذا انقطع المطر ارتفعت الورقة فاذا عاد المطر عادت » (المسالك والممالك) واستعمل فى كلام العرب ايضا : قال امرؤ القيس :

ترى بعر العيران فى عرصاتها وقيعانها كانه حب فلفل

وقال المرقش الاكبر او الاصغر .

فكأن حبة فلفل فى جفنه ـ وقد استعمل فى الصيغ ايضا قال امرؤ القيس :

كان مكاكى الجواء غدية صبحن سلافا من رحيق المفلفل

(جوزبوا) اصله فى السنسكريتية « جائى بهل» كتب ابوزيد سيرافى فى رحلته : «وفى منابته . . . . الجوزبوا والقرنفل والصندل (الجزء الثانى من سلسلة التواريخ ص ١٣٧) (قرنفل) اصله فى السنسكريتية «كنتك بهل» او «كرن بهول » فى لسان العرب « القرنفل والقرنفول شجر هندى ليس من نبات ارض العرب » كتب الهمدانى فى كتاب البلدان «وخص الله غر بلاد السند و الهند . . . الاعواد والعنبر والقرنفل والسنبل » قال امرؤالقيس :

اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وقال الازهرى :

وخود اناة كالمهاة عطبول كان فى انيابها القرنفول

واستعمل فى الصبغ ايضا فيقال «طيب مقرفل» اى فيه قرنفل (لسان العرب) .

(كافور) معرب «كبور» كانت العرب مولعين بالعطريات فكانوا يستوردونها من سواحل تبت والهند وللكافور منها اهمية خاصة . فى لسان العرب «والكافور اخلاط تجمع من الطيب» قال الله تعالى فى القرآن الكريم «ان الا برار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا» وقال النابغة الذبيانى :

كان مدارمة ورضاب مسك وكافورا ذكيا لم يفش

(زنجبيل) اصله فى السنسكريتية «زرنجابيرا» فى لسان العرب «والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم جدا» وقد يعبرونها بخمر مطيبة قال الله تعالى «كان مزاجها زنجبيلا» وقال الشاعر :

وزنجبيل عاتق مطيب

وقال الاعشى يصف حلاوة ولطافة لعاب جاريته :

كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا منشورا

(مسك) معرب «موشكا» ضرب من الطيب فى لسان العرب «المسك معروف والمسك ضرب من الطيب» وفى الحديث «خفى فرصة من مسك فتطيبى بها» وورد هذا اللفظ فى كلام العرب ايضا قال جران العود :

لقد عاجلتنى بالسباب وثوبها جديد ومن اردانها المسك تنفخ

وقال روبة :

إن تشفِ نفسي من ذبابات المسكِ امر بها اطيب من ريح المسك

(غضارة) استعمل هذا اللفظ فى الادب العربى للخزف الذى يتخذ من الطين الهندى . فى لسان العرب قال ابن دريد لا احسبها عربية محضة فان كانت عربية فاشتقاقها من عضارة العيش (وغضارة العيش طيبه ونضرته) «الغضارة للطين الازب الاخضر . . . ومنه يتخذ الخزف الذى يسمى الغضارة» . وقال الحموى فى معجم البلدان «ومع غلامه غضارة فيها شيراز . . . يريد ان يقدمه الى الملك . . . فقال ارنى هذا الشيراز . . . وغطى الغلام الغضارة . . . ومضى ليقدمه اذا قدمت المائدة . . فبادر اليهودى ووصف له الغضارة» . كتب مسعر بن مهلهل الذى جاء الهند سنة ٣٣١ هـ وساح بجنوبها يصف احوال كولم (تراونكور مدراس) «وبها تعمل غضائر تباع فى بلداننا على انه صينى وليس هو صينى لان طين الصين اصلب منه واصبر على النار» (معجم البلدان) .

(عنبا) اصله فى الهندية «آم» قال شريف الادريسى فى نزهة المشتاق «وقد يوجد ببلاد الهند نباتا تسمى عنبا وهو شجر كبير شبه شجر الجوز وورقه كورقه وله ثمر مثل ثمر المقل حلو اذا عقد فى اوله ويجمع فى ذالك العين فيعمل بالخل فيكون طعمه كطعم الزيتون سواء وهو عندهم من الكوامخ الشهية» (الجزء العاشر من الاقليم الاول لنزهة المشتاق لشريف الادريسى)

(رخ) معرب «رتهـ» قال اليعقوبى «وهو الرخان والفرسان (يعقوبى ج ١ ص ١٠٩)

(قار) اصله فى الكلمة الهندية «تاركول» فعرب فى عجائب الهند «ثم يجعلون فوق الجلد القار فلا ينفذه ماء ولا غيره» .

(رند) ضرب من الطيب يقال له «سنبل هندى» ايضا فى اللغة العربية . اصله فى السنسكريتية «نلدا» (عجائب الهند ص ١٢٠) وقد استعمل فى الفارسية القديمة باسم «ناردا» فكان ينبغى له ان يعرب نزد على القياس ولكن صار «رند» فى لسان العرب «الرند... العود الذى يتبخر به» قال الشاعر :

وبالرند احيانا فذاك وقودها

(هرد) هو اصل شجرة هندية كان يصبغ به الصبغ الاصفر . اصله فى السنسكريتية (هرى در) فعرب بهرد . قال ابن البيطار : «كانوا يأتون به من الهند» وفى رواية «ينزل عيسى بن مريم فى ثوبين مهرودين» .

(فالج) بعير هندى ذوسنامين . فى الصحاح «والفالج : البعير ذو السنامين .. يحمل من السند للفحلة» .

(فيل) اصله (بيلو بالباء الفارسية فصارت فى الفارسية بيل فعرب بفيل . يستعمل كثيرا فى اللغة العربية .

(٢) والنوع الثانى للتاثيرات الهندية فى اللغة العربية ما نقلت اليها من القصص والحكايات وكان للعرب ولع شديد بها فكانوا يسامرون فى الليالى القمراء ويسمعون الاساطير القديمة ولم يزل ولعهم هذا قائما مستمرا من الجاهلية الى الاسلام ولذلك نقلت القصص الهندية والسنسكريتية الى العربية ونحدث هنا عن بعضها .

(كليلة ودمنة) هو كتاب فى اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس ، وضعه بيدبا الحكيم فى اللغة السنسكرتية لملك من ملوك الهند يقال له دبشليم . كان اسم الكتاب فى السنسكريتية «بيد با وبيل با» ولكن عرف فى اللغة العربية

باسم كليلة ودمنة. كانت العرب يحبون قصصها وامثالها حبا جما لكونها حافلة بالحكم البالغة والتجارب الواسعة والاخلاق الفاضلة. فى تاريخ اليعقوبى «ومن ملوكهم دبشليم وهو الذى وضع فى عصره كتاب كليلة ودمنة وكان الذى وضعها بيدبا حكيم من حكمائهم وجعله ليعتبر بها ويتفهمها ذوو العقول ويتادبون بها.» (تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٩٨)

نقله برزويه الحكيم الى اللغة الفهلوية لنوشيروان سنة ٥٣١ م قال المسعودى «وكان نقل اليه (نوشيروان) من الهند كتاب كليلة ودمنة» (تاريخ المسعودى ج ٢ ص ٢٠٣) ثم ترجمه عبدالله بن المقفع من الفهلوية الى العربية وصور تلك الترجمة بفصل قيم هو مثل اعلى للبلاغة. يدل على اتساع قدرته واطلاعه ويشهد بطول باعه واضطلاعه باللسان العربى واتقانه وامعانه فى اختيار الالفاظ والاساليب. فى تاريخ المسعودى «ثم ملك بعده دبشليم وهو الواضع لكتاب كليلة ودمنة الذى نقله ابن المقفع وقد صنف سهل بن هارون كتابا ترجمه بكتاب «ثعلة وعفرة» يعارض فيه كتاب كليلة ودمنة فى ابوابه وامثاله يزيد عليه فى حسن نظمه». (المسعودى ص ١٦١)

والترجمة الثانية من اللغة الفهلوية ما نقله عبد الله بن هلال الاهوازى ليحيى بن خالد البرمكى فى خلافة المهدى سنة ٧٨١ م ونظمه سهيل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد المذكور ثم نظم ابان بن عبدالحميد الكاتب. فيه اربعة عشر آلاف من الابيات وبدأه هكذا :

هذا كتاب ادب ومحنة وهوالذى يدعى كليلة ودمنة
فيه اختيارات وفيه رشد وهو كتاب وضعه الهند

(الاغانى ج ٢٠ ص ٧٣)

(سند باد) كتاب القصص، نقل من السنسكريتية الى العربية وهو نسختان صغيرة وكبيرة. وزعم بعضهم انه وضعه الفرس ولكن الصحيح انه من كتب الهند. قال ابن النديم «وكتاب السندباد نسختان كبيرة وصغيرة والخلاف فيه مثل الخلاف فى كليلة ودمنة والغالب والاقرب الى الحق ان يكون الهند صنفته».

(بوذاسف وبلوهر) ذكر ابن النديم هذا الكتاب ايضا من القصص الهندية التى ترجمت الى العربية اسمه فى السنسكريتية «بدهى ستوبردهتير» فبدل «بدهى» بوذا و «ستو» بسف، و «بردهتير» بيلوهر فصار «بوذاسف وبلوهر» ذكر فى هذا الكتاب قصة ولادة كوتم بوذا ونشأته وانه كيف تنفر من الدنيا بحادثة مفاجئة جاءه درويش من الدراويش سرانديب مستنكرا فى زى تاجر فكشف عن اسرار الكائنات ورموزها وازاح الستار عن غوامضها وحل عقودها بالحكايات والامثال فى اسلوب جذاب خلاب ثم نقل هذا الكتاب من العربية الى لغات اخرى وانه كما قال الاستاذ المرحوم السيد سليمان الندوى «من الكتب العالمية التى يتمكن اثرها ويغلغل احاديثها فى نفوس العصاة وقلوب المجرمين».

(حدود منطق الهند) اختلفوا فى موضوع هذا الكتاب ان المراد فن المنطق ام النطق المحض. ذكره اليعقوبى فى كتب المنطق والفلسفة وسماه «كتاب طوفانى علم حدود المنطق» وقال: ولهم فى المنطق والفلسفة كتب كثيرة فى اصول العلم، منها كتاب طوفانى علم حدود المنطق» (يعقوبى ج ١ ص ١٠٦) ولكن ابن النديم ذكره فى كتب القصص والاخلاق لا فى كتب فن المنطق (فهرست ابن نديم ص ٤٢٤) والمراد من المنطق تكلم الانسان ومواقعه واساليبه.

(شاناق الهند) اسمه فى السنسكريتية «جانك جانكيا» قال ابن النديم «وكتاب شاناق الهندى فى الآداب خمسة ابواب» (فهرست ص ٤٣٩) وقال ايضا «وكتاب شاناق الهندى فى امر تدبير الحرب وما ينبغى للملك ان يتخذ من الرجال وفى امر الاساورة والطعام والسم» (فهرست ٤٣٧).

ومن الكتب الهندية التى نقلت الى العربية كتاب «ديك الهندى» معرب «ديبك هندى» فيه قصة رجل وامرءة ومنها كتاب اسمه «قصة هبوط آدم».

وقد عدد ابن النديم فى الفهرست كتبا كثيرة غيرها للهند فى الخرافات والاسمار والاحاديث.

(٣) اما النوع الذى اخذوا منه عن الهنود كثيرا فهو الحكم والامثال وهى اهم، استفاد الادب العربى من الهند وهى فى ذروة عليا من الحكمة والدقة واللطافة والكياسة، ولا عجب فان الهند كانت من قديم ممتازة بين جميع الامم باتساع تجاربهم وصفاء اذهانهم ودقة نظرهم قال القاضى صاعد الاندلسى فكان الهند عند جميع الامم على مر الدهور وتقادم الازمان معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة واهل الاحلام الراجحة والآراء الفاضلة والامثال السائرة والنتائج الغريبة واللطائف العجيبة (طبقات الامم للاندلسى ص ١٦).

ونقدم بعضها التى يضرب بها مثله من بداية اتصال العرب بالهند وهى هندية الاصل وفقا لتحقيق ابن قتيبة صاحب عيون الاخبار:

(١) «عدل السلطان انفع للرعية من خصب الزمان» (عيون الاخبار ج ا ص ٥)، (٢) «شر المال ما لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر

السلطان من خافه اليسرى وشر البلاد ليس فيه خصب ولا امن» (ج ا ايضا ص ٣)، (٣) «انما مثل السلطان فى قلة وفائه للاصحاب وسخاء نفسه عمن فقد منهم مثل البغى والمكتسب كلما ذهب واحد جاء آخر» (ايضا ص ٢٥)، (٤) «الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بمورده من الانهار وينال بالحزم والراى ما لاينال بالقوة والجنود» (ايضا ج ١ ص ٢٧)، (٥) «من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة، ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة، اخطأ الراى، وازداد مرضا وحمل الوزر» (ايضا ص ١١٢)، (٦) «ثلاثة اشياء تزيد فى الانس والثقة، الزيارة فى الرحل، والمواكلة، ومعرفة الاهل والحشم» (ايضا ج ٣ ص ٢٤)، (٧) «اربعة ليست لاعمالهم ثمرة، مسار الاصم والباذر فى السبخة، والمسرح فى الشمس وواضع المعروف عند من لاشكر له» (ايضا ص ١٦١)، (٨) ستة اشياء لاثبات لها: ظل الغمام، وخلة الاشرار وعشق النساء، والمال الكثير، والسلطان الجائر والثناء الكاذب» (ايضا ١٦٩)

هذه الامثال السائرة كلها هندية الاصل ولكن اليوم يضرب بها فى اللغة العربية بغير تردد وتكاف كانها من انتاجات العرب ووليدات افكارهم واحلامهم وطبائعهم.

تعريب : محمد اجمل الاصلاحى